قراءة نفسية في أسلوب التكرار
عند عنترة بن شدَّاد

د. فرح عبد الجبار عمران القاضي
الجامعة العراقية/ كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية
Farah. abd.omranoaliraqia. edu.iq

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين. وبعد:

أسلوب التكرار من الأساليب البلاغية الدقيقة التي تومئ إلى ما وراء الكلام من مقاصد حُجِبتْ خلف ستار الصياغة لأسباب نفسية بحتة تختلف من متكلم لآخر، فالتكرار ينبش سرائر القلوب ويُفتش في خبايا النفس العميقة، ويُسلط الضوء على مسالك مظلمة مكبودة أُقفل عليها واستُبعدِ الكشف عنها بشكل مباشر، فغالباً ما يُشار إليها إشارة من خلال هذهِ التقنيات.

وقد درس هذا البحث أسلوب التكرار عند عنترة بن شدَّاد ليضع يده على أهم القضايا النفسية التي أعلَّت الشاعر وأرهقته حتى دفعته لتكرارها عمداً وعفوية، وأعلنتْ عن نفسها بثورته وهدوءه وارتجاله بالنظم وتأنيه من خلال قصائده الجميلة في (ديوان عنترة بن شدَّاد)، وقد انقسمت الدراسة إلى مبحث في التكرار اللفظي وآخر في التكرار المعنوي يسبقهما التمهيد الذي يُمهد للنظر في الإيقاع الداخلي للقصائد واخيراً خاتمة البحث وخلاصته.

تمهيد:

الإيقاع الداخلي:

تتمثل الموسيقى الداخلية في الشعر باختيار الشاعر لحروفه والفاظه وتشكيله الصور المتجانسة؛ ليحقق الثراء بالموسيقى، ويحدث تناغمًا بين أجزاء الجمل الشعرية.

فهي تتولد بفضل انسجام الحروف والألفاظ والجمل مع بعضها البعض لتمسَ جوهرَ القصيدةِ ومضمونها، فتؤثر في النفس تأثيرًا شديدًا وتُثير فينا العاطفة.

فهي سر العبقرية عند الشعراء والأدباء، وهي الجمال الذي ينشأ حين تتجاوز الكلمات على نحو مخصوص، وهي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، أو طريقة الإيقاع الذي يتبع المعنى أو الشعور فيلقي بضلاله عليه، وهي عنصر التنعيم أو الموسيقى التصويرية التي تصاحب المشهد التعبيري.

وهي التي تؤثر في بلورة التشكيل الجمالي والمعنوي للنصوص الشعرية، وتعُد العالم الداخلي للنص المرتبطة بذات الشاعر، والتي تترجم احاسيسه وانفعالاته العميقة، مؤثرة بالمتلقي، «فهي الصورة السمعية للكلمات، وهي من أكثر الاحداث الذهنية وضوحاً عند الناس».

وتتجلى الموسيقى الداخلية عن طريق مصادر عدّة تكوّن الإيقاع الداخلي، وتساعد على ابراز النغم الموسيقي، منها:

١. التكرار.
٢. رد الاعجاز على الصدور.
٣. الطباق.
٤. السجع.
٥. التصريح.

وسيتناول هذا البحث (التكرار) الذي يمثل محور دراستنا.

فضلاً عن تكرار من نوع آخر غير التكرار اللفظي، ويرد واضحا في اغلب قصائد ديوان عنترة بن شدَّاد، وهو:

التكرار المعنوي والذي مثلَ لوناً واضحا اعطى لشعر عنترة هوية خاصة، وأبرز الكثير عن سمات شخصية التي تجلت بصورة الفارس الشجاع في التراث أدبنا القديم.

التكرار: أحد أبرز الوسائل اللغوية لتكثيف النغم في النصوص الشعرية ومن أهم ركائز الإيقاع

الداخلي الذي يحقق انسجاماً موسيقياً في النصوص.

وقد عُرّف التكرار لغوياً بإنه:

«الكَرّ والرجوع عليه ومنه التكرار (ا) كما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب بأنه: الكَرّ الرجوع مصدر للفعل كَرَّ عليه يكر كراً وكروراً وتكراراً عطف، وكرَّ عنه: رجع، وكرَّر الحديث: أي رجعت عليه.

وجاء التكرار عند الزمخشري لا يعدو آراء سابقيه فعرّفه بأنه: «كررت عليه الحديث كرّاً، وكررت عليه تكراراً، وكرر على سمعه كذا» فهو محصور بين ((التكرار والعودة)).

وجاء عن التكرار في الصحاح إنه: «الرجوع يُقال كَرَّه وكَرَّ بنفسه، يتعدى ولا يتعدى».

أما تعريفه اصطلاحاً:

فقد ورد عند أغلب البلاغيين القدماء منهم القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ) الذي عرَّفه في كتابه (التعريفات) بأنه: «عبارة عن الاثبات بشيء مرة أخرى».

وعرَّفه ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة) بقوله: «إنه موضع يحسن فيها، وموضع يقبح منها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل».

والتكرار عند ابن الاثير (ت٦٣٠هـ): «هو دلالة اللفظ على المعنى مردوداً».

وكما نال التكرار عناية القدماء نال عناية المحدثين، فقد اهتموا به اهتماماً كبيراً في الدراسات الحديثة مرابطين بينه وبين نفسية المبدع؛ وذلك لأهميته في النصوص ولما له من مقاصد مختلفة، فقد جاء التكرار في الشعر الجاهلي كثيراً عمد فيها القائلون على تكرار الحرف أو الكلمة أو التركيب، بل تجاوز بعضهم إلى تكرار الشطر الشعري الأول من البيت الأول في سائر أبيات القصيدة على نحو وانسب إلى المهلهل بن ربيعة، وما نسب إلى الحارث بن عباد في قطعة كرَّر فيها الشطر الأول: (قرباً مرتبط العامة منّي).

وعلى هذا فالتكرار في الشعر الجاهلي يشمل أنواعاً: فمنه تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار التركيب، وتكرار البداية، وتكرار اللازمة، وهذه الألفاظ ترد في الشعر الجاهلي وتتواتر لغايات مختلفة.

فالتكرار من أقدم الظواهر اللغوية التي عرفها العرب في نصوصهم القديمة وتواردها في كلامهم لأغراض مختلفة كما وردت في القرآن الكريم والأحاديث النوية الشريفة.

وعلى الرغم من إنّ التكرار كان معروفاً عند للعرب الجاهلية، وقد تناوله البلاغيون والنقاد العرب

دراسة إلا أنَّه لم يتخذ شكلاً واضحاً، فلم يملك التكرار الصفة الواسعة التي يملكها اليوم في شعرنا، فلم تقف كتب البلاغة القديمة عنده إلا الماماً ولم يصدر هذا عن إهمال مقصود بل ينبع ذلك من إنَّ أسلوب التكرار كان ثانوياً في اللغة إذ ذاك فلم تقم حاجة إلى التوسع في تقييم عناصره وتفصيل دلالته)، وقد تناولت الدراسات الحديثة هذه الظاهرة بالتفصيل وكان أغلب ما جاء في دراساتهم لا تخرج تعريفها عن معنى الترديد والإعادة، وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض عدّة منها: التأكيد على الكلام لئلا يجيء مبتوراً ليس له طلاوة، أو قصد الاستيعاب أو قد يكون زيادة في الترغيب، أو استحالة المخاطب لقول الخطاب، أو التنويه بشأن المخاطب، أو قد يكون للتلذذ بذكر الشيء المكرر، أو الارشاد إلى الطريق وغيرها من الأغراض التي وردت في كتب المحدثين.

إذاً فالتكرار وفق كل ذلك يمثل أحد المنبهات الأسلوبية في النص والتي تمنحه القابلية على أنتاج الإيقاع الصوتي الذي يجذب المتلقي.

ويمكن تقسيم التكرار الذي ورد في ديوان (عنترة بن شدَّاد) على قسمين رئيسين:

الأول: التكرار اللفظي: وجاء على ثلاثة أقسام وهي: تكرار الحرف، تكرار الكلمة، تكرار الجملة وهو قليل جداً.

الثاني: التكرار المعنوي: وهذا التكرار برز بشكل ملحوظ في أغلب القصائد، ودلّ على نقاط مهمة في حياة الشاعر أفصح بها من خلال هذا النمط التكراري، وهي نقاط تولّدت من قضايا رئيسية كانت محوراً يدور حوله، جلَّ مقاصد الشاعر الفارس (عنترة بن شدَّاد) سيتناولها البحث بالدراسة لاحقاً.

التكرار اللفظي:

١. تكرار الحرف: توالت تكرارات الحروف في قصائد ديوان (عنترة بن شدَّاد) بشكل ملحوظ أكثر من تكرار الكلمات والجمل التي نَدُرَ استعمالها، ويعد تكرار الحرف من أبسط أنواع التكرار اللفظي وأقلها أهمية في الدلالة.

وقد وضحت هذه التكرارات جوانب كثيرة لأهم القضايا التي برزت في حياة الشاعر الفارس عنترة، وكان من أهمها حبّهُ لابنة عمه (عبلَ) التي شغلت أغلب أبيات قصائده سواء باللفظ أو المعنى المكرَّر.

وهذا التكرار زاد من فاعلية النص الشعري من خلال ما حققه من تناغم في الإيقاع، ومن أهم

الحروف التي ورد تكرارها في شعر عنترة هو حرف النداء (يا) والذي ارتبط في معظم الأبيات باسم (عبلَ)، ومن ذلك قول الشاعر الفارس:

يا عبلَ قد دنتْ المنيةُ فاندبي إن كان جفنُك بالدموعِ يجودُ
يا عبلَ إن تبكي عليّ فقد بكى صرفُ الزمانِ عليَّ وهو حسودُ
يا عبلَ إن سفكوا دمي ففعائلي في كلِ يومٍ ذِكرهُنَّ جديدُ

ويصوغ أبيات أُخرى ثم يعود في القصيدة نفسها، قائلاً:

يا عبلَ كم من جحفلٍ مزّقْتُهُ والجو أسودٌ والجبالُ تمهيدُ

وقد قال هذه القصيدة حين أخذ أسيراً في حرب كانت بين العرب والعجم، وكانت عبلَ من جملة السبايا فتذكر أيامه معها وهو في السلاسل والقيود، فعظمُ عليه الأمر وخنقته العبرة.

ومن يقرأ هذه الأبيات يتبين له مدى شجاعة هذا الفارس وعشقه، فهو لا يبالي بما سيحل به على أيدي أعدائه، فبالرغم من ضغوط الحالة النفسية والمعاناة التي تعتري الأسير في أسره وهو لا يعرف مصيره هل إنَّ المنية ستعصر أنفاسه وتنهي أيامُ مجده، أم تستأخره لساعة أجل أُخرى، وبالرغم من كل ذلك إلا إنَّ الشاعر لا يبالي بكل ما يدور حوله، بل ينُادي محبوبته مكرَّراً ندائه لها تبعاً لقوة العاطفة المتوقدة في ذاته، وكأن الشاعر يرثي نفسه مواسياً إياها بحب عبلَ، ثم بفعاله التي سيتجدد ذكرها كل يوم ثم يعود في قصيدة أُخرى لينسج بخطوط التكرار حبه الأزلي موكداً من خلال بنية التكرار على قوة هذا الحب، قائلاً:

يا عبلَ إن هواك قد جاز المدى وإنَّ المعنى فيك دون الورى
يا عبلَ حُبُّك في عظامي مع دمي لما جرتْ روحي بجسمي قد حَرَى

ويقول مكرَّراً حرف النداء (يا) مع المنادى نفسه (عبلَ) في قصيدة أُخرى:

يا عبلَ نارُ الغرام في كبدي ترمي فؤادي بأسهم الشررِ
يا عبلَ لولا الخيال يطرقني قضيتُ ليالي بالنوحِ والسهرِ
يا عبلَ كم من فتنةٍ بُليت بها خضتها بالمهد الذكر

يكشف تكرار حرف النداء (يا) في الأبيات عن مكانة(عبلَ) في قلب الشاعر، بحيث إنه يراها سبب ديمومته فهو يربطها بدمه وبروحه التي تسري بجسده، ويشبه غرامها بالنار المتأججة بين أحشائه، ويصفها بالفتنة التي ابتلي بها، ولم تكن له القدرة على دفعها كباقي الفتن التي دفع بلائها بحسامه الشديد.

كل هذه الصور التي رتبها الشاعر الفارس من خلال نمط تكرار الحرف نابعة من المشاعر التي تسطو عليه، فالفارس المقدام عاجز أمام حب (عبلَ) ولا حول له بأن يدفع ذلك الغرام.

وعن تكرار حرف النداء (يا) يقول الشاعر:

يا دار أين ترحل السكان وغدت بهم من بعدنا الاضغانِ
يا دار عبلة أين خيم قومُها لما سرت بهم المطي وبانوا
يا دار أرواح المنازل أهلها فإذا نارا تبكيهم الأبدانُ
يا صاحبي سل ربحَ عبلة واجتهد إن كان للربح المحيل لسانُ
يا عبلة ما دام الوصال لياليا حتى دهانا بعده الهجرانُ
يا طائرا قد بات يندب ألفه وينوح وهو مولَه حيرانُ

لقد اتخذ عنترة من اسم عبلة ودار عبلة مروحة لقلبه، ومتكأ لوجدانه فيكون لها من التكرار بقدر ما بهما من الحب)، فتكرَّر حرف النداء (يا) في القصيدة ست مرات مع أكثرمن منادى (الدار، صاحبي، عبلة، طائرا) ولعل مثل هذا التكرار يكون غير إرادي وكأن الشاعر يعبر عن حمل ثقيل ينوء به قلبه من جوى الفراق جعله ينادي الدار وهي جماد علّها تجيب عليه سائلاً أيهاها عن عبلة.

ويعود ليسند السؤال الرابع (وهو اسم مكان) عن طريق صاحبه وهو يعلم إنه ليس له لساناً ليجيب عليه، ثم يعود ويسأل عبلة وهي غائبة عنه، ويسأل الطير وهو يعلم عن استحالة اجابته، ولكنه يسأل!

كل هذه الصور التي استعملها الشاعر الفارس إنما تعبر عن عمق اليأس الذي اعتراه، ويحاور الشاعر الطير في قصيدة أخرى قائلاً:

يا طائر البان قد هيجت احزاني وزدني طرباً يا طائر البان
ناشدتك الله يا طيرَ الحمامِ رأيت يوماً حمول القومِ فأنعاني

يكرَّر الشاعر النداء بالحرف (يا) مع المنادى ذاته ثلاث مرات، ليرسم بها صورة العاشق الذي ظلَّ يغفو أثر محبوبته التي رحلت، ولعل هذا النداء للجماد أو الطير يدل على وحدته وبعد المحبوبة.

ويقول الشاعر في قصيدة أُخرى:

يا عبل قد هام الفؤاد بذكركم وأرى ديوني ما يحل قضاها

يا عبل إن تبكي عليّ بحرقة فطالما بكت الرجال نساها
يا عبل أني في الكريهة ضيغم شرس إذا ما الطعن شق جباها
يا عبل كم من فارس خليته في وسط رابية بعد حصاها
يا عبل كم مداحرة خليتها تبكي وتنعي بعلها واخاها
يا عبل كم مذ مهرة غادرتها من بعد صاحبها تجر خطاها
يا عبل لو أني لقيت كتيبة سبعين ألفا ما رهبت لقاها

يُكرَّر الشاعر حرف النداء (يا) ثمان مرات في هذه القصيدة، معدداً بطولاته بعد أن ذكر الهيام بمحبوبته.

فالتكرار خرج لغرض التأكيد على المواقف البطولية التي لطالما تحدث بها الشاعر لمحبوبته وكأنه يقدم كل مسيرة بطولته بين يديها ولأجلها، وفي سبيل ارضائها، وكأن حبها وسواساً خنّاساً في صدره يدفعه للتكرار، فالشاعر يشكل مواقف حبه وبطولاته بصورة تجعل كل صفات الفروسية والشجاعة والتفاني في المعارك وتسجيل البطولات وكأنه فرع والعشق أصل، فهو يتفانى في كل ما قدمه في مسيرة حياته لأجل أن يذيب صورة عنترة العبد الأسود، ويؤكد على صورة عنترة الفارس، فمن كل ذلك تُمثل (عبلة) الغاية والمبتغى.

وفي قصيدة أخرى كرَّر الشاعر فيها حرف النداء (يا) يمتدح فيها الملك كسرى، فيقول:

يا أيُّها الملك الذي رأحآحته قامتْ مقامَ الغيثِ في أزمانهِ
يا قبلة القصاد يا تاج العُلا يا بدر هذا العصر في كيوانه
يا خجلاً نوء السماء بجوده يا منقذ المحزون من أحزانه
يا ساكنين دار عبس أنني لاقيت من كسرى ومن أحاسنه

خرج هذا التكرار لغرض الإشارة والمدح والتمجيد للملك كسرى، وقد ساعد التكرار هنا على تشكيل صورة الممدوح بتعداد خصال اخلاقه، فحمل التكرار في هذه القصيدة دلالات نفسية تنم عن رضى الشاعر عن الممدوح ومحبته له، «ومتى كان مدحا ينبوعه الصدق فالتكرير الذي يصحبه هو صوت التعبير عن تأكد المدلول».

ومن الحروف التي ومن الحروف التي كرّرها الشاعر في القصائد الحرف (لا) فيقول في قصيدة يفخر ببطولاته:

فلا تخش المنية والتقيها ودافع ما استطعت لها دفاعا

ولا تختر فراشاً من حريراً ولا تبكِ المنازل والبقاعا

يكرَّر الشاعر الحرف (لا) ليظهر بعض سمات البطولة والفروسية من خلال نفي أضدادها، أي أنَّه يذكر سمات المتقاعس الجبان، وهي: (يخش المنية، يختر فراش الحرير، يبكِ المنازل) ثم ينفيها ليرسم من خلال هذا النظام صورة لسمات البطولة، وكذلك كرَّر (لم) ست مرات في القصيدة نفسها، بقوله:

إذ اقنع الفتى بذميم عيش وكان وراء سجر كالبناتِ
ولم يهجم على أسد المنايا ولم يطعن صدور الصافناتِ
ولم يقر الضيوف إذا اتوه ولم يرَو السيوف من الكماةِ
ولم يبلغ بضرب الهام مجدا ولم يكُ صابراً في النائباتِ
فقل للناعيات إذا بكت إلا فقصرن ندب النادباتِ
ولا تندبن الا ليثِ غاب شجاعاً في الحرب الثائراتِ

يكرَّر الشاعر أداة النفي (لم) مع الفعل المضارع (يهجم، يطعن، يقر، يرو، يبلغ، يك) لينفي حصولها محققاً من خلال هذه الصياغة إطاراً يؤطر به صفات الفارس على نحو ما سبق.

وقد حاك الشاعر عنترة في هذه القصيدة ومن خلال هذه التكرارات صوراً جميلة تجسم للمتلقي شخصية الفارس الجاهلي الذي لا يخاف المنايا، ولا يخشَ طعن الصافنات، والكريم الذي يقر ضيفه، والقوي الذي يروي سيفه من الكماة، والذي يرسم له مجداً منشوداً ويصبر على النائبات الشداد، كل هذه الصور جسدت أو بيّنت خصال عدَّة امتلكها الفارس الجاهلي، ويكرَّر الشاعر حرف آخر هو (كم) بقوله:

كم مهمة قفر بنفسي خضته ومفاوز جاوزتها بالأبحرِ
كم جحفل مثل الضباب هزمته بمهندٍ ماضٍ ورمح أسمرِ
كم فارس بين الصفوف أخذته والخيل تعثر بالقنا المتكسرِ

ويذكر عدّة أبيات ثم يعود ويقول في القصيدة نفسها:

كم فارس غادرت يأكل لحمه ضاري الذئاب وكاسرات الإنسِ
وكم طرقتني نكبة بعد نكبة ففرجتها عنيّ وما مسني ضرِ

يستعمل الشاعر في هذه القصيدة أداة الاستفهام (كم) خمس مرات متتالية في أول الأبيات، ليخرج بها لغرض مجازي هو الاستفهام التنبيهي، فهو يُنبّه به محبوبته عن إنجازاته

وبطولاته، وهي تعرف الإجابة كما يعرفها هو، وذلك ليفخر أمامها وأمام قومه بما صنع، والتكرار» ظاهرة يغلب وجودها مع الفخر كما غلبت مع غيره من الأغراض الخطابية فيتخذ الفاخر شخصاً أو وصفاً أو حادثاً يراه بالتكرار أجدر بتأكيد الغرض فيجعله محوراً يدير عليه ما شاء من إملاء عاطفة»)، ويُلاحظ إن تكرار الحرف قد ورد عند عنترة أكثر من غيره من تكرار الكلمة أو الجملة.

تكرار الكلمة:

وهو تكرار الكلمة في أول البيت، وهو نوع بسيط من التكرارات اللفظية)، وجاءت التكرارات عند شاعرنا بالأسماء والأفعال ومنها ما يقوله الشاعر الفارس عنترة وهو يصف ابنة عمه، قائلاً:

خطرتْ فقلتُ قضيب بان أعطافه بعد الجنوب صبأ
ورنتْ فقلت غزالةً مذعورةً قد راعها وسط الفلاة بلا
وبدتْ فقلت البدرَ ليلة تمه قد قلدته نجومها الجورا

من الواضح في هذه الأبيات إن تكرار الفعل (فقلتْ) ثلاث مرات متتالية ينم عن دلالات نفسية مفعمة بالعاطفة والحب الكبير، فهو بهذا التكرار رتب وصفا لمحبوبته نابعاً من صورتها التي أحلت في أحشائه، ولم يكن هذا التكرار يوحي بالرتابة في الألفاظ.

وأني لأحمي الجار في كلّ ذُلة وأفرح بالضيم المقيم وأبهجُ
وأحمي حمى قومي على طول مدتي إلى أن يَروَني في اللفائج أَدرج

لقد كرَّر الشاعر لفظة (أحمي) وهي فعل مضارع يدل على استمرار حدوث الفعل ليسلط الضوء على خصال معينة في شخصيته، وهي: (الشهامة، الكرم، الغيرة) التي ستظل ملازمة له الى حين وفاته، ولذلك دلَّ عليها بفعل مضارع غير منقطع الحدوث، فضلاً عن أنه عكس علاقة وثيقة تربطه بقومه بالرغم ما عاناه منهم من ظلم وجور.

وقد لاقيت في سفري أموراً تشيب من له في المهد عامُ
وبعد العسر لاقيت يسراً وملكاً لا يحيط به الكلامُ

يكرَّر الشاعر في هذه الأبيات الفعل الماضي (لاقيتُ) أكثر من مرَّة ليؤكد به كلامه، فلعله أراد أن يلفت الأنظار إلى تفاصيل رحلته من عسرٍ ويسر.

وورد في ديوان عنترة تكرار المجاورة وهي: «تردد لفظتين في البيت ووقوع كل واحد منها بدنب الأخرى أو قريبة منها من غير أن تكون أحداهما لغوا لا يحتاج اليها».

ومن هذا قول الشاعر:

وكتيبة لبستها بكتيبةٍ شهباء باسلة يخاف رداها
فيها الكماة بني الكماة كأنهم والخيل تعثر في الوغى بقناها

واللفظ المكرَّر في البيت الأول والثاني شديدان الارتباط بالسياق، فالشاعر يتكلم في البيت الأول عن كتيبتين مختلفتين، ويؤكد في البيت الثاني على وصف فئة معينة من الناس، فالتكرار هنا لم يكن لغواً أو زيادة، ومن ذلك قوله في قصيدة أُخرى:

أغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

يكرَّر الشاعر لفظة (جارتي) في البيت نفسه ليؤكد على مكانة الجار في نفسه، فيرسم بهذا التكرار شهامة الفارس العربي وخصاله المحمودة، وطالما تغنى الشاعر في أبيات قصائده بهذه الصفات الممدوحة عند الجاهليين، فالعمل الفني ينقل إلينا دائماً قيماً اجتماعية، وقيما فردية خاصة بوجهة نظر الشاعر.

ومن قوله:

لا تسقني ماءَ الحياةِ بذلةٍ بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل
ماءُ الحياةِ بذلةٍ كجهنمٍ وجهنم بالعز أطيب منزل

يكرَّر الشاعرُ لفظة الفعل (تسقني واسقني) منفية مرة ومثبتة مرة أخرى، ويكرَّر في البيت الثاني لفظة (جهنم) مرتين ليشكل من خلالها موقفه من متضادتين (الذل والعزة) بشكل جميل يعيد فيه وصف خصلة أخرى من خصال العرب الجاهلية، فتحقق بمثل هذا التكرار المستوى الصوتي والمستوى الدلالي على حد سواء.

ومن ذلك قوله:

وأحملُ ثقلَ الضيمِ والضيمُ جائرٌ وأُظهر أنَّي ظالمٌ وابن ظالمِ
عليك يا عبيلة كل يومٍ سلامٌ في سلامٍ في سلامِ

فيكرَّر الشاعر لفظة (الضيم) ليصفه بالجور ثم (ظالم) ليؤكد بان الذي يظهره غير الذي يخفيه، ولفظة (سلام) تنم عن نفس متعاطفة ووجدان يبات على لهب المواجع والشوق.

ويقول الشاعر الفارس:

قف الديار وصح الى يداها معنى الديار تجيب من ناداها
دار يفوح المسك من عراصاته والعود والمسك الركيّ خباه

دار لعبلة شط عنك مزارها وتأت لعمري ما أراك تراها
يا صاحبي قف بالمطايا ساعة في دار عبلة سائلا مغناها

يكشف التكرار في هذه الأبيات عن مكانة (دار عبلة) عند الشاعر، والتي كرَّر لفظتها خمس مرات في المقطع الشعري، ولعل قصد الشاعر من هذا التكرار هو اثارة الحزن في نفسه أو في نفس المخاطب)، لما للأطلال من مكانة عند العرب الجاهلية.

تكرار الجملة:

وقد جاء هذا النوع من التكرار قليل جدا في ديوان عنترة، ومنه قوله:

يدعون عنتر والرماح كأنَّها اشطان بئر في لباب الادهم
يدعون عنتر والسيوف كأنَّها لمع البوارق في سحاب مظلم
يدعون عنتر والسهم كأنَّها طش الجراد على مشارع حوّم
يدعون عنتر والدروع كأنَّها حدق الضفادع في غدير ديجم

يكرَّر الشاعر الفارس في هذه الأبيات العبارة (أربع مرات) ليسلط الضوء على جوانب حساسة في العبارة نفسها، فتكشف عن اهتمامه بها، وهي دعوة قومه له والوقت الذي يُدعى عنترة به، وكأنه يقول بأن حاجة القوم لعنترة عند الحروب والشدائد والمحن، ولعل هذا التكرار هو ما يسمى بالتكرار اللاشعوري، وهو تكرار يجيء في سياق شعوري كثيف جدا وترد آراء تقول» أن هذا الصنف لم يرد في الشعر القديم الذي وقف نفسه على تصوير المحسوس والخارجي من المشاعر الإنسانية»)، لكن من الواضح إن هذا المقطع يُدلي بتكرار لا شعوري عند الشاعر وكأن القضية تطارده وتردد في ذهنه حتى صاغها بعبارات متكرَّرة. ومن شروط هذا التكرار أن تكون العبارة المتكرَّرة من كلام سمعه الشاعر عن حالة حاضرة تؤلمه أو سخرية موجعة)، وواضح ما بين شرط التكرار اللاشعوري والعبارة المكرَّرة من ترابط.

ومما جاء من تكرار العبارة قول الشاعر:

وتَحلُّ عبلة بالجواء وأهلها بالحزن فالصمان المتثلم
وتَحلُّ عبلة في الخدور تجرها وأظل في حلق الحديد المبهم

وظف الشاعر تكرار الجملة الفعلية ليدل على التفاعل القوي بين الشاعر ورحيل محبوبته (عبلة)، وكأن هذا التسلسل في التكرار يرسم صورة اليأس الذي دبّ في قلب الشاعر وهو لا يملك إلاّ أنَّ ينتظر انتظار العاجز المقيد الذي أظل خطى المغدور التي جرت محبوبته، وكأن

الموقف يعصر قلبه حتى يلفت روحه التراق، ويقول الشاعر في تكرار العبارات:

فقد جلبنا حيناً وحرباً عظيمة تبيد سراة القومِ من غطفان
وقد جلبنا حيناً لمصرع مالك وكان كريماً ماجداً نهجانِ

وقد كرَّر هذه العبارة غي قصيدة لرثاء مالك بن زهر العبسي وكان صديقاً له، والرثاء بالتكرير أجدر؛ لأن شدة الوجد فيه أوفر، ولهذا قل أنَّ تقرأ رثاء لا تظهر فيه خصيصة التكرار)، والتكرار في هذا الموضع من الرثاء لا يعول على العبارة المكرَّرة، وإنما يعول علم اسم المرثي وصفاته من كرم ومجد ونهج.

التكرار المعنوي:

«هو الذي في المعنى دون اللفظ».

من يقرأ ديوان (عنترة بن شدَّاد) أكثر من مرة ويمعن النظر بأبيات قصائده ينتبه بيسر إلى التكرارات المعنوية، فهي بارزة تدور حول أربعة محاور أو مرتكزات تمثل أهم القضايا التي أثرت بعنترة خلال مسيرة حياته فترجمها بشعره، وكرَّر رسم ملامحها بحيث أصبحت واضحة القسمات للقارئ أو المتلقي، ومن أهم هذه القضايا وأولها: حب (عبلة) وهجرها له وبعدها عنه، وثانيها: نبذ قومه له وحاجتهم إليه عند الشدائد والحروب والمحن، أمَّا الثالثة: فهي سواد جلده الذي طالما فعت به وكان سبباً من أسباب رفض مجتمعه له، والقضية الرابعة: هي تعداد بطولاته في أكثر مواضع الديوان فهو لا يزال يعددها حتى طفح الديوان بها مفتخراً ومادحاً نفسه بين تارة وأخرى، كل هذه الأحداث أغطش ليل الشاعر حتى أصبح يكرَّرها وهو غير ممنون.

أمَّا ما جاء من أبيات تكررت فيها معاني الحب لعبلة وبعدها عنه، فهي كثيرة جداً نورد بعضها في هذا البحث كأمثلة، منها قول عنترة:

شُغلت بذكر عبلة عن سواها وقلت لصاحبي هذا المرامُ

ومنها قوله:

أُحب بني عبس ولو هدروا دمي لأجلك يا بنت السراة الأكارم

ويكرَّر المعنى في قصيدة أُخرى قائلاً:

وغرامي بها غرامٌ متيمٌ واعذابي من الغرام المقيم

ويقول:

وأن عشت من بعد الفراق فما أنا كما أدّعي إنّي بعبلة مغرمُ

وأن نـام جفـني كـان نـومـي علالـة أقــول لـعـل الـطـيـف يأتـــي يُسلـم

وفي قصيدة أخرى يعاني فيها الشاعر من جوى الفراق، ويقول:

وخـبـر عــن عـبـيـلـة ايــن حلـت ومــا فـعـلـت بـهـا أيــدي الـلـيـالـي
أُقــاتــل كــل جــبــار عـنـيـدٍ ويـقـتـلـنـي الــفــراق بلا قـتـالٍ

وما جاء من تكرار في معاني يشكو فيها الشاعر الفارس من جور قومه، قوله فيهم:

يـنـادونـنـي فـي الـسَّـلـم يـا ابـن ربيبة وعـنـد صـدام الخيل يـا ابـن الأطـائـب
ستذكرني قومي إذا الخيل أصبحت تـجـول بـهـا الـفـرسـان بيـن الـمـضـارب

وقوله في قصيدة أخرى:

وإنَّ دارت لـهـم الاعــادي ونــادونــي أجـبـت مـنـى دُعـيـتُ

ويكرَّر المعنى في قصيدة أُخرى قائلاً:

وقـومـي مـع الأيــام عـون عـلـى دمـي وقــد طـلـبـونـي بـالـقـنـا والـصـفـائـح

ومنه قوله:

وكـم داعـي دعـا فـي الـحـرب باسمي ونـادانــي فـخـضـب حـشـى الـمـنـادي

ومنه قوله:

سأحـلـم عـن قـومـي ولـو سفـكـوا دمـي وأجـرِع فيك الصبرَ دون الـملا وحـدي

ومنه:

سيـذكـرنـي قـومـي إذا الـخـيـل أقبلت وفــي الـلـيـلـة الـظـلـمـاء يُـفـتـقـدُ الـبـدرُ

وكذلك قوله:

قـد كـنـت فـيـمـا مـضـى أرعــى جِمالهم والـيـوم أحـمـي حـمـاهـم كـلـمـا نكبوا

ومن المعاني التي كرَّرها في شعره عن سواد بشرته كانت كثيرة، وأغلبها تفوح بزخم من التوجع والآهات لما لهذه القضية من تأثير سلبي على نفسية الشاعر، وبالرغم من إنَّه فارس مقدام لا تؤثر فيه الحروب ولا المنايا، إلا إنَّ هذه القضية شكلت عنده التفاته طويلة توضحت من خلال أدلت به قريحته، ومنها قوله:

وأنَّ يـعـيـبـوا ســواداً قـد كـسـبـت به فـالـدر يـسـتـره ثــوب مـن الـصـدف

ومنه قوله:

وقــد أســـوا يـعـيـبـونـي بأمُّـــي ولــونــي كـلـمـا عــقــدوا وحـلـوا

ويقول في قصيدة أخرى:

ومـــا وجـــد الأعـــــادي فـــيَّ عيبا فـعـابـونـي بـلـون فـي الـعـيـونِ

وكذلك قوله:

لـئـن يـعـيـبـوا ســوادي فـهـو لـي نَسب يـوم الـنـزال إذا مـا فـاتـنـي الـنسبُ

ويكرَّر المعنى قائلاً:

يـعـيـبـون لـونـي بـالـسـواد وإنَّـمـا عـفـا لـهـم بـالـخـبـث أسـود مـن جلدِ

ومنه قول الشاعر:

ومـــا عـــاب الـــزمـــان عـلـيّ لـونـي ولا حـــط الـــسـوادرفـيـع قـدري

وكذلك قوله:

تـعـيـرنـي الـعـدى بـسـواد جـلـدي وبـيـض خـصـائـلـي تـمـحـوا الـسـوادا

ومنه قول الشاعر:

شـبـيـه الـلـيـل لـونـي غـيـر أنَّـــي بـمـغـلـي مـن بـيـاض الـصـبـح أسـنـى

ويكرَّر المعنى في قصيدة أخرى قائلا:

ســوادي بـيـاض حـيـن تـبـدو وشـمـائـلـي ونـعـلـي عـلـى الأنـسـاب يـزهـر ويفخر

ومنه قوله:

يـعـيـبـون لـونـي بـالـسـواد جـهـالـة ولـو لا ســواد الـلـيـل مـا طـلـع الـفـجرُ
وإنَّ كـان لـونـي أســود فخصائلي بـيـاض ومـــن كـفـي يـنـزل الـقـطـرُ

وكذلك يقول:

ومـــن قـــال إنـــي أســـود ليعيبني أُريـــه بـفـحـلـي أنَّـــه أكـــذب الـنـاس

ومنه قوله:

وأن عـابـت ســوادي فـهـو فـخـري لأنّـــي فـــارس مـــن نـسـل خـام

وكذلك قوله في المعنى نفسه:

دعـنـي أجـد إلـى الـعـلـيـاء فـي الـطـلـب وأبـلـغ الـغـايـة الـقـصـوى مـن الـرتـب
لـعـل عـبـلـة تـضـحـي وهـــي راضـيـة عـلـى ســوادي وتـمـحـو صـورة الغضب

ويكرَّر المعنى في قوله:

لـئـن أكُ أســـوداً فـالـمـسـك لـونـي ومـــا لـــسـوادجـلـدي مـــن دواءِ

ولـكـن تـبـعـد الـفـحـشـاء عـنـي كـبـعـد الأرض عـن الـسـمـاءِ

يكرَّر الشاعر في كل ما ورد من هذه الأبيات المعنى ذاته، فجاء هذا المعنى ثجاجاً ما يلبث أنَّ ينفك منه الشاعر حتى يعود له متتابعاً من قصيدة إلى أخرى، ومما يُلاحظ إنَّ الشاعر عنترة أكثر ما يكرَّر من الأفعال مع هذا المعنى، الفعل (عاب، يعيب) تارة بالماضي، وتارة أُخرى بالمضارع، مما يدل على تكرَّار الحدث باستمرارية وعدم انقطاع بُكرة وأصيلاً، بالرغم من كل ما بلغ الشاعر من رتب المعالي، وبالرغم من كل ما تمتع به من خصال بيضاء رام الشاعر من خلالها أنَّ تمحي بعين عبلة أولاً وقومه، ثانياً: لونه الأسود

إلا إنَّ نظرهم العاجز لم يرَ الدَّر الأبيض الذي احتضنه الصدف الأسود.

ولقد كان كلام القوم فاقراً يقسم ظهر عنترة إلى درجة إنَّه أصبح داء بنظره بدليل قوله: (وما لسواد جلدي من دواء) فكل ما رسمه الشاعر في أبياته في هذا المعنى كان مقصوداً نابعاً من الحالة النفسية المتأزمة والرافضة التي القت بكل معاذيرها لتتخلص من صورة العبد الأسود إلى صورة الفارس الأبيض، إلا إنَّ عين القوم لا ترى ما يبغيه عنترة الفارس إلا عند حمحمت الخيل.

وهذه قضية أخرى يردَّ تكرَّار معانيها في أبيات عنترة كما ورد غيرها من المعاني السابقة، إلا إنَّ تكرَّار هذا المعنى كان أكثر فقد عجت بها القصائد حتى أصبحت هذه المعاني ظاهرة بارزة تغشو على ديوانه، وقد جاء التكرار لأغراض مختلفة فقد جاءت معاني الفخر والبطولة ليؤكد من خلالها على شدة بأسه وقوته تارة، وليخيف فيها الأعادي تارة أخرى حتى يتبرق بصبر هذا العدو حيرة ودهشة مما يراه ويسمعه، وليعدد هذه المفاخر (لعبلة) و(لقومه) ويدفعهم للتفاخر به تارة أخرى.

فيصف نفسه في المقطع الأول من الابيات المختارة _ بالعبد الذي يشق بصدر خيله موج المنايا، وفي البيت الثاني يصور في خياله مبارزة بينه وبين الموت لو كان شخصاً فيقول: بأنه سيكون الطاعن الأول، وينادي لعبلة في البيت الثالث لتشهد وقع طعانه في المجاج المكدّر، وفي البيت الرابع يستعير للموت صفة (الجبان) ليجسد وكأنه شخص جبان يخشى عنترة الفارس الشجاع، وفي البيت الخامس يرسم صورة جواده الذي يسابق الطير ولا يُلتحق ويصف الحسم الذي يشق جسد الهمام المعادي في الحروب، وقد استعمل لفظة (يشق) ولم يقل (يطعم أو يضرب) ليؤكد ويقوي دلالة القصد من قوله، فهو حسام يشق الجسد الى نصفين للتنبيه على إن

ضربته غير ضربت سيوف الفرسان، فضلاً عن قوة الفارس، وقال في البيت نفسه (همام) ليدل به على قوة الخصم، فهو ليس كأي خصم وهذا أيضا يقوّي به دلالة الشجاعة في شخصه(عنترة) ويبالغ الشاعر في البيت السابع بقوله: (بأني أفرق الف سرية) في يوم الطعان، يرسم الشاعر في البيت الثامن صورة قوية للمتلقي إذ يشبه في هذا البيت نفسه (بالكعبة الشريفة) لا من حيث وجود صفات مشتركة بينهم، بل من حيث هي مزار لكل العرب، ويريد من ذلك إنَّه هو بطل الابطال فلو تستطيع العرب أنَّ تصل الى ابطالها فهو سيكون كالكعبة لكثرة ما سيصله من العرب يوم الوغى.

وتتلاحق معاني الفخر في الأبيات الأخيرة ليصور من خلالها الشاعر كيف يصول ويجول في المعارك ليحمي حمى قومه، يريح قومه العامية يمر على أعدائهم يوم الوغى ليتركهم إعجاز نخل بلا رؤوس.

ويحاور الشاعر محبوبته في المقطع الأخير ليطلب منها أنَّ تسأل عن فعاله يوم الحرب مع القبائل المعادية، فيحوك قطعة مذهلة تأخذ المتلقي ليتخيل وجوه الأعداء الباسرة شديدة العبوس في الحرب، فالشاعر يذكر كيف كان وقع العرب وبالاً عليهم حتى صاروا يتلاطمون كموج البحر تحت غمامة، وفي حفرة نسجها لهم عنترة الفارس من وقع ضرب حوافر خيله.

وبذلك تنتهي هذه الجولة الأدبية البسيطة والجميلة في ديوان (عنترة بن شدَّاد) مسلطين الضوء على أبرز ما جاء به من تكرارات لفظية ومعنوية مع تحليلات بسيطة نابعة مما تبين عند الباحث والله خير معين.

الخاتمة

الحمد لله حق حمده الذي أعانني على إتمام هذا البحث البسيط الموسوم ب (ظاهرة التكرار في شعر الفرسان (عنترة بن شدَّاد) أنموذجاً، وقد توصلت بعد هذه الدراسة إلى بعض النتائج المستخلصة منه، وهي:

١. جاءت التكرارات اللفظية على ثلاثة صور هي (تكرار حرف، تكرار كلمة، تكرار جملة) وكانت الأخيرة نادرة جداً، فضلاً عن إن التكرار اللفظي برمته جاء قليلاً نسبة إلى التكرار المعنوي.

٢. وردت في الديوان تكرارات معنوية كثيرة جداً، ومن يرصد هذه التكرارات يجدها تدور حول قضايا أثرت بحياة الشاعر وقد تم ذكرها.

٣. جُل ما جاء من تكرارات كان يدور حول (عبلة) محبوبة الشاعر فهو ما بين أنَّ يكرَّر اسمها، أو ندائها أو يكرَّر سؤالها أو صفاتها أو يكرَّر المعاني ليقدمها بين يديها، حتى تكرَّار بطولاته كانت لها ولأجلها.

٤. شخصية الشاعر بارزة جداً فقد كرَّر الشاعر صفاته حتى رسم للمتلقي من خلال هذه التكرارات ملامح عنترة الإنسان قبل ملامح الفارس.

Conclusion:

Praise be to God, who enabled me to complete this simple research entitled "The Phenomenon of Repetition in the Poetry of Knights (Antarah ibn Shaddad) as a Model." After this study, I arrived at some conclusions derived from it, namely:

1. Verbal repetitions occurred in three forms: letter repetition, word repetition, and sentence repetition. The latter was very rare, and verbal repetition as a whole occurred infrequently compared to semantic repetition.

2. The collection contains many semantic repetitions, and anyone who observes these repetitions will find that they revolve around issues that influenced the poet's life and have been mentioned.

3. Most of the repetitions revolved around Abla, the poet's beloved. He would repeat her name, address her, ask her questions, or describe her characteristics, or repeat the meanings to present them to her. His heroic deeds were repeated for her and for her.

4. The poet's personality is very prominent, as he repeated his characteristics to the point that these repetitions depicted the features of his personality for the reader. Antarah is a human being before the features of a knight.

المصادر والمراجع

١. موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٥٢.
٢. الأسلوبية العربية التطبيقية: أحمد طاهر حسين، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط١، د. ت.
٣. مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر: أ. أ. رتشارد، ترجمة محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.
٤. العين: الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تحقيق مهدي الخزومي - إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ١٩٨٦.
٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان.
٦. أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل.
٧. تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٨هـ)، دار الحديث، القاهرة - مصر.
٨. التعريفات: القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تح: نصر الدين، ط١، القاهرة - مصر.
٩. العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده: أبو علي حسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط٥، ١٩٨١م.
١٠. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ابن الاثير، تح: محيي الدين عبد الحميد، بيروت - لبنان.
١١. قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، مكتبة النهضة، ط٣.
١٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد احمد الهاشمي، ضبط تدقيق يوسف الجميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
١٣. التكرار في الشعر الجاهلي (دراسة اسلوبية): موسى دبارجة، مجلة مؤتة، الأردن، مج٥.
١٤. ديوان عنترة بن شدَّاد: مطبعة الآداب، بيروت، ط٤، ١٨٩٣م.
١٥. التكرار بين المثير والتأثير: عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦. كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: ٣٩٥)، مطبعة محمود بك، ط١.
١٧. الأسس الفنية الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة): عز الدين لسماعيل، دار الفكر، القاهرة.
١٨. البلاغة والاسلوبية: محمد عبد المطلب، لونجمان، مصر، ط٣، ٢٠٠٩م.
١٩. التكرار أهميته وانواعه ووظائفه ومستوياته في اللغة: علي إسماعيل الجاف، مقالة.
٢٠. التكرار مظاهره واسراره: عبد الرحمن محمد المشهداني، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.

مصادر الإنترنت:

قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، الرابط الآتي:
www.qataqaosayn.com